قبل ان يرفع عيسى عليهما الصلاة والسلام وقول البيضاوي وكان يحيى
وعيسى ابني خالة من الاب فيه تجوز اذ يحيى ابن خالة ام عيسى لانه ابن
خالتها وعيسى ابن بنت خالة يحيى لا ابن خالته وسيدا اي يسود قومه
فيصير متبوعا وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال سعيد بن جبير
السيد الذي يطيع ربه وقال سعيد بن المسيب السيد الفقيه العالم
وحصورا اي مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه
مر وهو طفل بصبيان فدعوه للعب فقال ما للعب خلقت وقال سعيد بن
المسيب الحصور هو العنين الذي لا ماء له فيكون الحصور بمعنى المحصور
كانه ممنوع من النساء وقيل كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك
ليكون اغض لبصره وقيل هو الممتنع من الوطء مع القدرة عليه واختار
قوم هذا القول لوجهين احدهما ان الكلام خرج مخرج الثناء وهذا اقرب الى
استحقاق الثناء والثاني انه ابعد من الحاق الآفة بالانبياء ونبيا ناشيا
من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين فمن
على هذا للتبعيض كقوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين قال رب
انى اي كيف يكون لي غلام اي ابن وقد بلغني الكبر اي ادركني كبر
السن واثر في وكان عمره مائة وعشرين سنة وقيل تسعا وتسعين
سنة وامراتي عاقر اي لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من
الاولاد وكانت بنت ثمان وتسعين سنة فان قيل كيف قال زكريا
بعد ما وعده الله تعالى انى يكون لي غلام اكان شاكا في وعد الله
وفي قدرته اجيب بانه قال ذلك استبعادا من حيث العادة
كما قالت مريم او استعظاما وتعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه
اي اتجعلني وامراتي شابين او ترزقنا ولدا على الكبر منا او ترزقني
امراة اخرى وقيل ان زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان

فقال

فقال له يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله وانما هو من الشيطان
ولو كان من الله لاوحاه اليك كما يوحي اليك في ساير الامور فقال ذلك
دفعا للوسوسة قال الامر كذلك اي من خلق غلام منكما الله يفعل ما يشاء
لا يعجزه عن شيء ولاظهار هذه القدرة العظيمة الهمه الله السؤال ليجاب
بها ولما تشوقت نفسه الى سرعة المبشر به قال رب اجعل لي آية اي
علامة اعرف بها حمل امراتي لاستلقي النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك
عليه ان لا تكلم الناس تمتنع من كلامهم ثلاثة ايام اي بلياليهن كما في
مريم ثلاث ليال الا رمزا اي اشارة بيد او راس والاستثناء منقطع
وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على ما في الضمير وانما خص تكليم
الناس ليعلم انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء
قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح اي صل
بالعشي وهو من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار وهو من طلوع
الفجر الى وقت الضحى فان قيل لم حبس لسانه عن كلام الناس اجيب
انما فعل به ذلك ليخلص المدة المذكورة لذكر الله تعالى لا يشغل لسانه
بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها التي طلب
الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان يحبس
لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما وقع مشتقا من السؤال
ومنتزعا منه وقال قتادة امسك لسانه عن الكلام عقوبة له بسؤاله
الآية بعد مشافهة الملائكة اياه فلم يقدر على الكلام ثلاثة ايام واذكر
اذ قالت الملائكة اي جبريل قال لها شفاها يا مريم ان الله اصطفاك
اي اختارك بان تقبلك من امك ولم يقبل قبلك انثى وفرغك للعبادة
واغناك برزق الجنة عن الكسب وتكليمهم لها شفاها كرامة لها وقيل
كان معجزة لزكريا وقيل كان ارهاصا اي تاسيسا لنبوة عيسى صلى

Copyright © King Saud University